



## الجانب الخلفي في الأدب القصصي من هاجرة نازلي

تعد اللغة الأردية من أشهر اللغات الهندية التي ينطق بها معظم سكان شبه القارة الهندية، وقد ظهرت وتطورت في ظل الدعوة الإسلامية. وهي من اللغات الحديثة التي نشأت في شبه القارة الهندية. وفي فترة قصيرة جداً أصبحت الأردية لغة يفهمها وينطق بها أكثر من خمس مئة مليون شخص ينتشرون في كل من الهند وباكستان وبنجلاديش، كما ينطق بها بعض سكان البلدان العربية وبلدان أفريقيا وأوروبا. وهي لغة اجتماعية تكونت بامتزاج اللغات المحلية وباشتراك اللغتين الفارسية والعربية.



محمد نجيب القاسمي - الهند

ومن أبناء اللغة الأردية البارزين: الأستاذ أسد الله خان غالب، والعلامة محمد إقبال، والشيخ أبو الكلام آزاد، والشيخ شبلي نعماني، والشيخ مناظر أحسن غيلاني، والشيخ عبد الماجد الدرابادي، والأستاذ نذير أحمد، والشيخ سيد سليمان الندوي،

وتعد اللغة الأردية اللغة الرسمية في باكستان واللغة الثانوية في الهند، وقد سميت بالأردية في عهد الملك شاه جهان، فقيل لها تارة (زبان أردو) أي اللغة الأردية، وتارة (الأردو الأعلى) حتى استقرت التسمية على كلمة (أردو) فقط.

وسير سيد أحمد خان، والأستاذ فيض أحمد فيض، والأستاذ ظفر علي خان، والشيخ حسرت موهاني، والشيخ أبو الحسن علي الندوي.

### «مساهمة المرأة في أدب اللغة الأردية»

منذ نشأة اللغة الأردية ساهمت المرأة مع الرجال جنباً بجنب في تطويرها بأساليب شتى، منها كتابة الروايات والقصص القصيرة، وتأليف الكتب الدينية، وقرض الأشعار، فلا يمكن تدوين تاريخ أدب اللغة الأردية دون ذكر دور المرأة ومساهماتها في إثراء الأدب الأردّي، ونذكر هنا أسماء بعض الأدبيات والشاعرات: ابنة ملك الهند بابر جهان آرا بيغم، بيغم نواب بهوبال سلطان جهان، عصمت جفثائي، قرة العين حيدر، واجدة تبسم، الدكتورة رشيد جهان، جيلاني بانو، بروين شاكّر، فهميده رياض، محمدي بيغم، أمة الله تسنيم، وهاجرة نازلي.

### «سيرة هاجرة نازلي وأعمالها»

#### (١) اسمها ونسبها:

هاجرة نازلي هي إحدى بنات الشيخ المقرّي محمد طيب القاسمي الديوبندي (رحمه الله) وهو حفيد الإمام محمد قاسم النانوتوي (المتوفى سنة ١٨٨٠م) مؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند (تدعى هذه الجامعة أيضاً أزهر الهند)، وقد ولدت في عام ١٩٢٠م في مدينة ديوبند بولاية أترابرايش بالهند، ونشأت وترعرعت في جو إسلامي في أسرة مسلمة ملتزمة، تتميز بتقواها وزهداها وورعها وشغفها بالعلم، حيث كان والدها الشيخ المقرّي محمد طيب القاسمي أحد علماء الهند الكبار.

وقد تزوجت من الشيخ حامد الأنصاري غازي الذي كان عالماً متمكناً وكاتباً قديرًا وصحافياً شهيراً على مستوى الهند، ومناضلاً باسلاً ضد الاستعمار البريطاني.

ولم تشتهر هاجرة نازلي لكونها ابنة لشخصية عظيمة، ولا لكونها زوجة لشخصية شهيرة، فهي لم تُصَف يوماً إلى اسمها أياً من هذين اللقبين «قاسمي» أو «غازي»، وإنما اختارت لأعمالها الأدبية لقبها الخاص الذي اشتهرت به وهو «نازلي».

#### (٢) ثقافتها:

إن دراسة هاجرة نازلي كانت مقتصرة على ما تلقت من القراءة والكتابة في البيت، حيث إنها لم تلتحق بأي مدرسة رسمية لتلقي العلم، بل تعلمت القراءة داخل محيط بيتها في مدينة ديوبند بالهند. وتلقت دروساً في القرآن الكريم والكتب الدينية الابتدائية على يد الفقيده أمة الرحمن، رحمها الله. وكانت تربطها مع معلمتها علاقة طيبة مما دفعها إلى المداومة على تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الفجر والدعاء لمعلمتها الأرملة المسكينة التي لم توفق لأداء مناسك الحج لعدم استطاعتها المالية، رغم رغبتها الشديدة في أداء فريضة الحج، فكلفت هاجرة نازلي شخصاً بأن يحج نيابة عن معلمتها بعد وفاتها، كما أنها حجت عنها بنفسها أيضاً، مما يدل على احترام معلمتها التي كان لها دور بارز في تكوين شخصيتها الأدبية.

وقد عُرس في طليعة هاجرة نازلي حب القراءة والكتابة بفضل الله، ثم بفضل والدتها التي أعطيت حظاً وافراً من الذوق الأدبي الرفيع، مما جعلها تشارك في العديد من المجلات النسائية، ومنها المجلة الشهرية «سهيلي» التي كانت تصدر تحت إدارة «رقية بيغم»، بالإضافة إلى المجلات الشهرية الأخرى التي كانت تصدر من دلهي تحت إدارة الكاتب المرموق «راشد الخيري»، ومنها «عصمت» و«البنات» و«الجواهر النسوي»، وكل هذه المجلات كانت تصل إلى بيتها بانتظام. فمطالعة هذه المجلات



ذات القيمة الأدبية قد مهدت طريق هاجرة نازلي إلى أن تكتب أفكارها الأدبية ذات الأبعاد المتنوعة، وتعرب عن مشاعرها وعواطفها عن البيئة التي كانت تعيشها.

### (٣) وفاتها،

توفيت هاجرة نازلي - رحمها الله - عام ٢٠٠٤م، بمدينة عليكره بالهند عن عمر يناهز ٨٤ عاماً، وخلفت وراءها خمسة أولاد وابنة واحدة، وتركت لنا أعمالاً أدبية قيمة كثيرة يعتز بها الأدب الأردني.

### (٤) هاجرة نازلي في ضوء خدمة اللغة الأردنية،

قامت هاجرة نازلي بكتابة القصص القصيرة في عهد الشباب قبل الزواج، وتم نشرها في مجلة «عصمت». ولم تتخذ هاجرة نازلي من كتابة الروايات والقصص القصيرة حرفة تتكسب من وراءها الشهرة أو المادة حتى لفظت أنفاسها الأخيرة.

### << أسماء الروايات والقصص القصيرة التي ألفتها هاجرة نازلي:

#### (١) الروايات،

ألفت هاجرة نازلي أكثر من ٢٤ رواية ومن بينها ١٢ رواية متوفرة في مكتبة الكونغرس بواشنطن - أمريكا (US Library of Congress)، وأسماء بعض

الروايات التي ألفتها «هاجرة نازلي» هي:

|                    |             |
|--------------------|-------------|
| (صبيحة)            | (عام ١٩٥٤م) |
| (نغمة)             | (عام ١٩٥٥م) |
| (خطوات جديدة)      | (عام ١٩٥٩م) |
| (هموم العصر)       | (عام ١٩٦٠م) |
| (هموم الحبيب)      | (عام ١٩٦٢م) |
| (ليلة الأمان)      | (عام ١٩٦٣م) |
| (الليلى)           | (عام ١٩٦٤م) |
| (ذات الوجهين)      | (عام ١٩٦٥م) |
| (في انتظار الصباح) | (عام ١٩٦٥م) |

|                  |             |
|------------------|-------------|
| (نشاط الهم)      | (عام ١٩٦٩م) |
| (تحت ظلال السند) | (عام ١٩٧٢م) |
| (فلق الصبح)      | (عام ١٩٨٤م) |
| (تحت ظلال وارفة) | (عام ١٩٨٥م) |
| (جزيرة الأحلام)  | (عام ١٩٨٧م) |
| (بيت من الثلج)   | (عام ١٩٩٨م) |
| (ذيل رطب)        | (عام ١٩٩٩م) |

### << موضوعات بعض الروايات التي كتبتها هاجرة نازلي:

رواية ذات الوجهين: قامت نازلي بكتابتها لبيان مشكلات المرأة التي تصبح وحيدة في هذا العالم وتضطر أمها إلى أن تحتال لحمايتها من مشكلات هذا العالم، وفي هذه الرواية تضطر الأم لتربية ابنتها التي تلعب دور ممثلة في شكل ابن وذلك لحمايتها من مشكلات الدنيا. رواية نغمة: قامت نازلي بكتابتها على خلفية استقلال الهند، وبيئت فيها الجهود التي بذلها المسلمون للتخلص من الاستعمار البريطاني.

ومحققة للأهداف التي خلقت من أجلها. وبالمقابل فإن التعليم المنظم والجامعي بدون التربية السالحة والهدف السامي قد يجعل المرأة تائهة وبعيدة عن الأهداف التي خلقت من أجلها.

لم تلجأ هاجرة نازلي قط إلى نقاد زائفين لتسويق قصصها ورواياتها دون النظر إلى القيمة الأدبية للقصص والروايات التي عالجتها قصصها ورواياتها.

وعلى نقيض ذلك كانت نازلي تؤمن بأن القصص والروايات الأدبية إذا لم تربّ النفس الإنسانية على الصدق والأمانة والشرف والأخلاق الحميدة ومبادئ الخير فإنها ليست بأدب وإنما هي هذر للأوقات في سفاسف الأمور.

وتعد رواية هاجرة نازلي «حور» من باكورة أعمالها الأدبية التي نشرت في مجلة الجمهورية الأسبوعية على حلقات، ثم صدرت بشكل كتاب بعنوان «صبيحة» ونشرتها مكتبة كتابستان في مدينة بومباي بالهند.

وجميع قصص وروايات هاجرة نازلي كانت تتبنى على مبادئ إسلامية هادفة وأسس أخلاقية حميدة وقيم أدبية سامية تدعو إلى بناء مجتمع سليم. لذلك فإننا نجد أن الصلاة والأعمال التي تمت بصلة قوية إلى الإسلام تظهر بوضوح في كتابتها، فالبنات مثلاً لا يظهرن أمام الأجانب من دون حجاب. والأبطال والبطلات في قصصها ورواياتها لا يختلط بعضهم ببعض ولا يلتقون دون قيد أو شرط، حتى الحوار الذي يدور بين الأبطال والبطلات يتم عن أدب جم واحترام كبير.

ومن أهداف قصص وروايات هاجرة نازلي أن تربي بنات المسلمين على مبادئ الخير من الأمانة والشرف والصدق، واحترام الصغير للكبير، وعطف

رواية نشاط الهم: قصة فتاة فقدت أهلها وبقيت وحيدة وبينت كيف واجهت المشكلات، وكيف استطاعت هذه الفتاة التخلص من هذه المشكلات خلال حياتها وبمساعدة بعض أقرائها.

روايات «تحت ظلال السنط» «فلق الصبح» «في انتظار الصبح»:

ذكرت هاجرة نازلي فيها زمن الأمراء وبينت مشكلات المرأة في ذلك الوقت، وكيف استطاعت الفتاة التخلص من مشكلات تلك الفترة.

## (٢) القصص القصيرة

ألقت هاجرة نازلي مئات القصص القصيرة، وتم نشرها في المجالات المختلفة المعروفة في الهند مثل «بانو» بدلهي، و«باكيزه داثيجست» بدلهي، و«شمع» بدلهي، و«خاتون مشرق» بدلهي و«حريم» بلكنهو و«زيور» ببتنا عاصمة ولاية بيهار مثل:

(عريس للتقيل)، (قهقهة)، (مكالمة واحدة)، (عشرة في عشرة وبس)، (نقد واختبار)، مجلة شهرية «بانو» بدلي عام ١٩٧٢م، (خدعة الأمانى)، مجلة شهرية «حريم» بلكنهو، (ظل متناقص)، مجلة شهرية «بانو» عام ١٩٧٠م، (حب الشباب على وجه الشبية)، مجلة شهرية «بانو» عام ١٩٦٠م، (صفقة)، تم إصدارها في عام ١٩٧٠م، (عطش الحب)، مجلة شهرية «بانو» بدلي عام ١٩٧٠م، (شبكة المال)، تم إصدارها في عام ١٩٧٠م.

## << الجانب الخلفي في قصص وروايات هاجرة نازلي:

لم تكن هاجرة نازلي تنتمي إلى أي مدرسة معينة من المدارس الأدبية المنتشرة في الساحة الأدبية، وإنما كانت تتخذ من نفسها وذوقها الرفيع وتربيتها السالحة هادياً ومعلماً.

وكانت هاجرة نازلي تؤمن بأن التعليم المنزلي الهادف والتربية السالحة تجعل المرأة ناجحة



هذه الرواية فقد تخطى الشاب ظفر جميع الصعاب والآلام وأنواع الحوادث التي عانى منها بعد وفاة والدته في سبيل طلب العلم، وحقق معه نجاحاً كبيراً على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، وعاش حياة طيبة كريمة، وفي نفس الوقت لم يأل جهداً في ترسيخ جذور الأخلاق الفاضلة النبيلة في شخصيته.

وكانت نازلي تعتمد في كتابة الروايات والقصص القصيرة على قراءتها المتعمقة للقرآن الكريم والسيرة النبوية وقصص الأنبياء وسير الخلفاء الراشدين وحكايات الصحابة ثم التاريخ الإسلامي خلال القرون الأولى، إضافة إلى ذلك التاريخ الإسلامي الذي شهدته شبه القارة الهندية خلال قرون عديدة، وكل ذلك كان يلاحظه القارئ أثناء قراءة قصصها ورواياتها.

وكان لتمكنها من اللغة الأردية ومفرداتها أثر

الكبير على الصغير. على عكس الساحة الأدبية العامة والمدارس الأدبية التي كانت تعج بأقلام رخيصة كل همها جلب المفاهيم الغربية بغثها وسمينها، وترويجها في المجتمع المسلم، والتي تدعو إلى السفور والخلاعة، وإلى كل ما هو سيئ. لذلك فإن المجلات والجرائد التي كانت لسان حال تلك المدارس الأدبية قاطعت مقالات وقصص وروايات هاجرة نازلي ومثيلاتها من الأدبيات الغيورات اللائي كن يحاولون الدفاع عن التراث الثقافي والحضاري الإسلامي في بلاد شبه القارة الهندية الذي تحقق عبر قرون من الحكم الإسلامي في الهند بجهود أبنائها من العلماء والأدباء والمؤرخين المخلصين، لذلك فإن هاجرة نازلي لم تكن ترغب في التعاون مع تلك المجلات والجرائد التي تنادي بمبادئ غربية مثل السفور والخلاعة وما إلى ذلك.

كانت هاجرة نازلي تستوحي قصصها ورواياتها من الواقع الذي كانت تعيشه على عكس القصص والروايات العادية التي قد تكون من نسج الخيال، بحيث تتخذ القصة والأبطال من الواقع المعيش، ثم تحببها وتنسجها وتجعل منها قصة أدبية رائعة لها قيمة جمالية يحس بها القارئ ويتفاعل معها.

الرواية المسماة «غم دوران» (هموم العصر) مبنية على قصة حقيقية تدور أحداثها حول امرأة اسمها «سيدة» وابنها اللذين كانا يقيمان بجوار بيت والد هاجرة نازلي في مدينة ديوبند، حيث يؤدي ابنها الدور المركزي في هذه القصة، وكانت المرأة من أقرباء هاجرة نازلي إلا أن أهل بيت زوجها كانوا فلاحين وغير مثقفين. ونظراً لهذه القرابة كانت تلك المرأة ترتاد بيت هاجرة نازلي مما أكسبها علماً جماً، لكنها توفيت في شبابها تاركة وراءها ولداً واحداً. واستعارت له هاجرة نازلي في روايتها اسم ظفر، مصورة ذلك الولد شخصية ناجعة. وحسب

### «الخلاصة:

إن هاجرة نازلي قد أثبتت عملياً أن المرأة تستطيع أن تحقق إنجازات كبيرة وهي مقيمة في بيتها وملتزمة بالحجاب الشرعي، وتستطيع أن تصبح هاجرة نازلي أخرى والتي تركت خلفها سجلاً حافلاً بكتابات أدبية تزيد عن (١٢) رواية ليس للأدب الأردني فحسب، وإنما للأجيال القادمة من محبي الثقافة، وهي محفوظة في مكتبة الكونجرس بواشنطن، مما يدل على أنه ليس بالضرورة أن تتخلى المرأة عن حجابها وتستخدم قلمها لنشر الرذيلة وقلة الحياء، في سبيل خدمة الإنسانية، فقد كانت هاجرة نازلي تؤمن أن القلم أمانة كبيرة، ورمز للعلم والمعرفة، وأن استخدامه بطريقة غير مشروعة يعد بمثابة إلحاق العار بالقلم والعلم كليهما. وقد حافظت على هذه الأمانة طيلة حياتها مكرسة حياتها في سبيل حماية شعلة هذه الثقافة الطيبة المعرضة للزوال، وودعت هذه الدنيا مكافحة تاركة خلفها الرّماد.

ولا يزال القلم يحتفظ بوقاره بفضل الأدبيات أمثال هاجرة نازلي، وإلا فجيلنا لا يُعرف عنه سوى الانحراف الفكري وإلحاق العار بالقلم بل الإصرار عليه والافتخار به ■

بالغ في كتابتها، والتصرف في مفرداتها، وإغناء الحوار الذي كان يدور في القصة، بأسلوب أدبي راق ينم عن شخصية كاتبها، وأهدافها السامية.

يظهر جلياً تواضع هاجرة نازلي في عدم سماحها لأي أحد أن يكتب سيرتها، فقد رفضت بأسلوب مناسب حينما أبدت «فاطمة تاج» الشاعرة الشهيرة من حيدرآباد رغبتها في كتابة مقال عن أعمالها الأدبية لنشره في مجلتها الشهرية المسماة «سب رس» الصادرة من حيدرآباد.

تقول شهناز هاشمي أستاذة الأدب الإنجليزي في جامعة عليكره: إنها تعلمت الكتابة بمطالعة كتابات هاجرة نازلي، وتعلمت منها دروساً في الخلق.

عاشت هاجرة نازلي حياتها بعيداً عن الاختلاط بالأدباء العصريين، ومن أسباب ذلك التزامها بالحجاب الشرعي، وذات مرة انتقت مصادفة بالأدبية عصمت جفتاي في مدينة بومباي في إحدى المناسبات، فلما عرفت عصمت جفتاي بعد التعارف بينهما أنها هندية استغربت قائلة: أنت هندية؟ لم نلتق من قبل، وكنت أعتقد أنك باكستانية، فقابلت هاجرة نازلي هذا التعليق من عصمت جفتاي بابتسامة.

## كدموع

بغداد... بغداد نادى الماء والحجر  
هل يرجع الدمع أحلاماً لنا سرقت  
بغداد لا تسمعينا في حكايتنا  
والليل في دربنا لا نور يقطعه  
ونحن عن جرماً نبكي ونعتذر  
هل يرجع الروح للأبدان محتضر  
فالكذب في حرفنا والذل والخور  
وما على أفقنا شمس ولا قمر  
يسطر الدمع تاريخاً وينتحر  
عيناك حزن عميق ظل يسكنني  
أشرف محمد قاسم - مصر